قصة قصيرة:

أستحلفكم بالله .. افعلوا شيئا

كان علينا أن ننتهي بأسرع ما يمكن، قمت بعدّ الأوراق مرة ثانية، تفحصت الأدوات، كلها جاهزة، الفرشاة والنشاء، كل شيء تمام، ما أقسى الانتظار، لا أدري سببا لاضطرابي هذا، هل أنا خائف؟!، ربما - بعض الشيء، رغم أنها ليست المرة الأولى، لقد فعلت ذلك من قبل، منذ ست سنوات وكنت أكثر حماسة من الآن، فماذا حدث لي؟!، إن الأمر لا يختلف كثيرا عنه في ذلك الوقت، قمت أذرع الغرفة جيئة وذهابا، أفرك يديّ، أطلق زفرات متتالية، لماذا تأخرو ا كل هذا الوقت؟!، نظرت في ساعتي بعصبية فوجدتها لم تتقدم للأمام سوى ثلاث دقائق، ما أبطأ هذه الساعة، لقد مرّ عليّ دهر وأنا في مكاني هذا، اتجهت نحو مكتبي أحاول إزالة اضطرابي، تأملت أحد عناوين الجريدة التي على المكتب - لن نسمح بتكرار ما حدث في أفغانستان -، ألقيت بالصحيفة هازئا. تأملت الأوراق والملصقات، جذبت إحداها، امرأة تبكي وبين يديها طفل ذبيح، رجل مزقت أشلاؤه، جندي يركل الموتى بقدمه، فار الدم في عروقي، تمنيت أن أكون هناك أحمل مدفعا، أفجر كل قنابل الدنيا في هؤلاء الكلاب، ردني الواقع إلى نفسي، أحسست بعجزي الشديد عن نصرتهم، فأنا هنا في غربتي ليس لي إلى نصرتهم من سبيل، دفنت وجهي بين راحتي وبكيت «رحماك يا ربي» يزداد نحيبي، يكاد يمزقني شعوري بالغربة في وطني وعجزي عن نصرتهم، استجمعت قبضتي وضربت بها الحائط، ثم احتضنته، ازداد بكائي الذي اختلط بصوت رفيع صغير لأم تبكي!!، يزداد البكاء، يعلو - يخترق مسامعي.. من أين يأتي هذا الصوت؟! ليس بالغرفة أحد غيري، يقترب الصوت مني، أميزه الآن بوضوح، توقفت عن البكاء وأصخت السمع، ومازال وجهي بين راحتي، التفت بسرعة ثم تراجعت فزعا من منظرها، تتقدم ناحيتي، التصقت بالحائط، كانت تبكي وهي تهدهد طفلا بين يديها طفلا ذبيحا يقطر الدم من عنقه، ولكن ما هذا الذي أراه؟!!، هذه المرأة!!، إنها.. إنها أمي، والذبيح بين يديها.. أخي الصغير، جريت نحوها فزعا، رفعت الطفل أمام عيني، كدت أتقيأ من منظره، أمسكته فتلطخت يداي بالدماء، تراجعت ومسحتهما في الحائط الذي تلطخ هو أيضا بالدماء، كل شيء حولي بلون الدم.. يداي، وجهي، الحوائط والجدران، وعويل أمي يصم أذني، أغلقتهما براحتي. يكاد رأسي ينفجر «يا إلهي رحماك، ما شاركت في الجريمة». جثوت على ركبتي مطأطئا رأسي، بينما تراخت يداي إلى جانبي «بل شاركت بصمتي وجهلي»، رفعت رأسي رويدا.. رويدا. خرج إليّ حاملا مدفعه، اتجه ناحية أختي وصوّب إليها مدفعه، ثم نحاه جانبا، هجم عليها كذئب الليل الجائع فوق صدري يريد اغتصابها، تقاومه أختي تصرخ.. تستغيث بي!، تستغيث بي أنا!! يأتيني صراخها من قاع بئر، من قمة جبل، من داخل بيت في ربوع سراييفو، يأتيني صراخها من مكان سحيق، تستغيث بي أنا الجبان الرعديد!!، لم أتخيل أن أضطر لذلك يوما، أبكي كلما شاهدت صورهم أو سمعت أخبارهم وكفى.. ثم أمضي لحالي، تحجرت في مكاني، أرتعش من قمتي لأدناي، وصراخ أختي يخنق مسمعي.. والبلدة.. بل كل العالم يسمع، صرخت «أخي.. أنقذني.. افعل شيئا..» انتفضت.. نعم.. نعم يجب أن أفعل شيئا.. يجب أن أفعل شيئا، صرخت صرخة مدوية، رميت بنفسي عليه، غرزت أصابعي في عنقه.. ضغطت بقوة بقوة، ومزقته كل ممزق، رفعت بقاياه في يدي إلى عيني وانفجرت باكيا، فلم أمزق سوى الصور.

أحسست أن الله عز وجل لن يقبل منا هذا العمل، إنه شيء لا يذكر، أن ألصق صورهم على الحوائط والجدران في الشوارع والميادين شيء لا يذكر، لا يمنع اغتصابا ولا يرد الحياة للطفل الذبيح، يا رب رحماك - .. انتزعني من خواطري.. جرس الباب

- هل كل شيء جاهز يا أخي؟

- نعم

- إذًا هيا بنا ولنستعن بالله عز وجل.

ونزلنا.. وما هي إلا ساعة حتى اعتلت الملصقات والصور صدر الحوائط في كل مكان، واستيقظ الناس.. حركتهم الصور. جذبتهم نحوها فمضوا إليها بآلية وتأملوها، بكى بعضهم بينما اكتفى بعضهم الآخر بتحريك رأسه في أسى، ثم مضى كل منهم دون أن يكلم صاحبه، وبعد برهة تزاحموا من جديد على منافذ توزيع الخبز، وعلت صيحاتهم وسبابهم، ومن فوقهم تبكي المرأة البوسنية تصرخ فيهم تستجديهم «استحلفكم بالله.. افعلوا شيئا».

يسري محمد الحمزاوي

لوحة قلمية

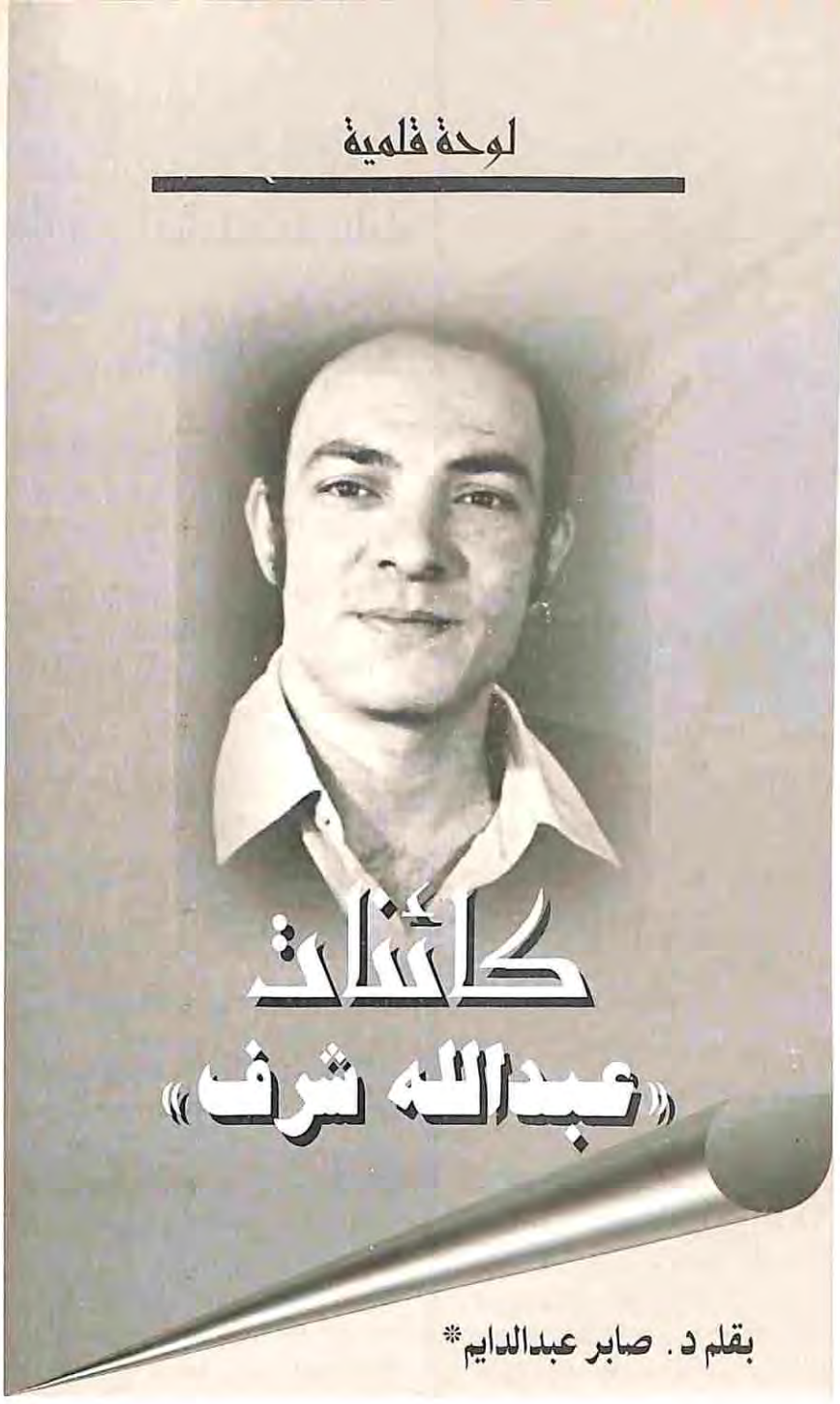

كائنات «عبدالله شرف»

بقلم د. صابر عبدالدايم*

● إن الشاعر – كما قال أفلاطون «كائن أثيري.. ذو جناحين.. لا يمكن أن يبتكر قبل أن يلهم،» فالشعر عطاء إلهي، وفطرة إنسانية خالصة، وحين تندلع نار الفن المبدعة في كيان الشاعر فإنه يحترق في هذه الجنة الملتهبة، ولكن هذا الحريق لا يخلق رمادا أو هباء تذروه الرياح؛

إنه كالبركان الهائل.. يظل متوهجا حتى في سكونه، إنه يهدي للبشرية كنوزا ماسيّة من خيرات الأرض وفيوضاتها،

● هكذا الشاعر.. في عطائه المتجدد..

● احتراقه.. حياة للآخرين

● آلامه.. آمال للحيارى المتعبين

● أشجانه.. أغنيات تسعد البائسين●●

■■■

والشاعر الصديق الراحل «عبدالله شرف» أخلص لفن الشعر، ووهب حياته له، وتقلب على جمره، بل قبض على جمرات الشعر بكلتا يديه، وما زالت هذه الجمرات متقدة في قلبه، وفي عينيه المتألقتين.. صفاء وإيمانا، وإشراقا وحبا، وألما وأملا إلى آخر قطرة ضوء في عينيه..

● وحين تشتعل هذه الجمرات في وجدان «عبدالله شرف» نجدها.. تتحول إلى كائنات لفظية، ولوحات تصويرية شعرية، وشحنات لغوية لها هيئة الكائنات الحية، تسكن بيت الشاعر وأوراقه، حتى ليخيل إليّ أن قصائد «عبدالله شرف» تجلس إلى جواره على أريكته الخشبية، بل وتجلس أمامه في دلال وتيه وتمنّع.. على مكتبه.. تطارحه الغرام.. وتمطره بالقبلات.. وأحيانا تسقيه من جمراتها الندى وفجأة نراها سكينا ونصلا ورمحا وسيفا.. والشاعر محاصر.. مهدد بالاغتيال.. ولكنه سعيد.. مبتسم.. فالشعر مصيره.. وروضه وسعيره..!!

● إن قصائد «عبدالله شرف» تسكن في سجل مواليد «صناديد»*. «وهي القصائد «الصناديد»، إنها تحديد النسل، ترفع راية العصيان في وجه «وزارة السكان»، ولا تتآلف مع «التنظيم السكاني».. لأنها مواليد جميلة.. وجوه ملائكية» أصوات بلا أجساد، الأرض تضيق بها على اتساعها –، ولكن يسعها قلب الشاعر «عبدالله شرف»

● كائنات «عبدالله شرف»

تتكاثر.. وتتوالد.. ولكنها لا تعرقل المسيرة، ولا تزدحم بها المواصلات، ولا تحدث أزمة سكانية، ولا تضج بها قاعات المحاكم، ولا أقسام الشرطة،

● إنها طيور القلب، قصائد الألم والأمل، إن هذه الكائنات الشعرية المتخلقة من عصب اللغة، ولحم الشعور، ودم الأحاسيس، وخلايا المعاناة والوجد تفوقت على الكائنات البشرية في الوعي

الحضاري، وإدمان المغامرة والترحال،

● أهل صناديد.. وأهل طنطا قابعون.. في مساكنهم.. ومزارعهم.. ومتاجرهم.. كل يصارع الآخر.. ويغتال في حركته إيقاع الآمان..!!

أما قصائد وكائنات **عبدالله شرف**.. فإنها تعبر الحدود والأسلاك الشائكة بدون جواز سفر.. تتجول في الصحراء العربية والحواضر الإسلامية في حرية وفرح، تنشر أريج الحياة، وعبق الإخاء، وألحان السلام.

● **عبدالله شرف** يرسل مواليده الشعرية، وهي أيضا رسله الوجدانية والإنسانية إلى «الأمصار العربية والإسلامية» وهو «الملك غير المتوَج» لا يغادر عرشه، ولا يهجر قصره الريفي الجميل «البسيط»

● إنه في «**صناديد**» وهو جالس في «كوخه» الساحر.. نراه يتجول في نجد.. في مدينة الرياض العامرة الفيحاء

● وفي مدينة «**جدة**» نشهده يختال ويتهادى.. وينساب كالجدول الطروب على صفحات «المنهل» العذب الرائق..

● إنه وهو رابض في «**صناديد**» نراه في كتيبة الحرس الوطني» بالسعودية. جنديا يحمل في قلبه لواء الكلمة المناضلة.. يغزو كيان المناوئين قبل المعانقين..

● إنه في «**الفيصل**» يفصل بين المتنافسين في ميدان الكلمة، ويحوز قصب السبق، فهو الفارس بلا جواد ولا سيف.. ولا قدمين.. إنه فارس الكلمة.. إنكم ترونه بعيدا عنكم وهو جالس بينكم.. أحيانا..!

وأنا أراه قريبا مني في «**مكة**» .. أراه أمامي.. مبتسما.. ضحوكا.. حزينا.. ساخرا.. وأنا أقلب صفحات «**الشرق الأوسط**»، و«**المسلمون**»، و«**أخبار الأدب**»، و«**الجزيرة**»

● أراه مجهدا ينضح شعرا.. قادما لتوه من «لندن» في سحابات الرؤى..

متأبطا نجوم القصيد.. وأقمار الإيقاع..

● إن عبدالله شرف.. عاش في سباق مع الزمن والحياة

إنه يجري وهو جالس!!، يطير وهو ساكن..!

إنه العاشق الصنديد.. يحمي محبوباته ،

ويعشق كائناته

ويثور على جبال الجليد.. ويثأر لاغتيال الحرية، ويتمرد على القيود،

ويحطم أسوار السجون.، ويكسر الحواجز والقضبان،

● إن الكلمة سلاحه، واللغة وسائله الدفاعية التي تتجدد مع تجدد الحياة والزمن، إنه يعترف ويقدم هذه الوثيقة التي يؤكد بها عشقه، ويشهد كل كائناته الشعرية على هذه الوثيقة:

يعترف «**عبدالله شرف**» في ثقة وفي شرف..

○ عرفتك يا شعر صدق الشعور
فدعني على راحتيك أحط أوانا..
وحينا أطير
وأنسج منك بساط أمان.. لكل العصور
ودعني يا شعر أخلق فيك.. أهز حروفك
أجعل منك أرائك حب
موائد عشق لكل الطيور

فدر بالصدور
وخض بالأسارى
دروب الخلاص
وشق الصخور

● رحمك الله.. يا عبدالله.. رحمة واسعة وجعلك في سجل الخالدين

.. فما زلت بيننا.. تتهجى الضوء..
وتسري في الملكوت
توزع قهوتك لعصافير الساحة مبتسما
.. وما زلت بيننا عاشقا
○ تسري.. فتنداح الأماني صوبه..
طافت رياح النور فوق جبينه
ورمت على خديه زنبقة
وحطت عطرها فوق الشفاه
والخيل ما بلغت مداه..!

■■ **هوامش :**

* ناقد وشاعر مصري ـ أستاذ بجامعتي الأزهر وأم القرى» أصدرت له الرابطة ديوان «مدائن الفجر»

* صناديد ـ بلد الشاعر «مستقرّه ومستودعه» من قرى محافظة الغربية بمصر.

قواعد النشر في المجلة

□ **لاتنشر المجلة أي موضوع سبق نشره.**

□ **موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة ولاتوزع على عددين.**

□ **يرجى كتابة الموضوع على الآلة الكاتبة أو بخط واضح، مع ضبط الشعر والشواهد وألا يزيد عن خمس عشرة صفحة.**

□ **يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل ليمكن وصول المكافأة الرمزية إلى الكاتب.**

□ **ترسل نبذة عن الكاتب في حدود سطرين.**

□ **يرجى توثيق البحوث توثيقاً علمياً كاملاً.**

□ **الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.**

□ **إرسال صورة غلاف الكتاب، موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة، أو المجرى معها الحوار.**